ولسنا لنختم هذا الباب دون ان نستلفت ثانيةً انظار قرائنا الافاضل الى اهميَّة تعلُّم اللغات الساميَّة ومقابلتها بعضها لبعض. ففي ما مرَّ من الشروح مثال جلي على ذلك مع اقرارنا بقصورنا وليس الكمال الَّا لله (ستأتي البقيَّة)

الروم الملكيون

نبذة في اصلهم وجنسيتهم

للاب هنري لامنس اليسوعي

قد اطَّلعنا في العدد الاخير من جريدة المنار (١٠ شباط) على مقالة عنوانها صاحبها الاديب امين ظاهر خير الله «باصل الروم الارثوذكس في سوريَّا» وفيها يفنِّد ما اعترض عليهِ بهِ بعض المنتقدين لمقالة كتبها سابقًا بيَّن فيها انَّ روم الشام الارثوذكس ليسوا من اصل يوناني بل هم سوريُّون جنسًا

(قلنا) انَّ لهذا البحث من الخطر والشان ما استدعانا الى ابداء رأينا في هذا الخصوص. ودفعًا للشبهة في حقيقة ما توخَّينا اثباتهُ نفيد قرَّاءنا اننا ندعو هنا باسم الملكيين (١ كلَّ النصارى السوريين الذين يتبعون الطقس اليوناني سواء كانوا من الكاثوليك او الارثوذكس. وهو اسم لعمري جليل أُطلق عليهم جميعًا منذ قرون عديدة يفرزهم عمَّن سواهم من الطوائف النصرانيَّة. وكان الاولى بالروم الارثوذكس في بلادنا ان يحافظوا عليهِ كما فعل الروم الكاثوليك ولا ينبذوهُ ظهريًّا ليُحدثوا لهم اسمًا جديدًا على مثال اخوتهم الروسيين لاسيما وان اسم ارثوذكس اي المستقيم الايمان تدَّعيهِ كلُّ الطوائف بلا استثناء. الا ترى مثلًا ان الارمن الغريغوريين واقباط مصر يلقِّبون انفسهم بالارثوذكس مع انَّ الروم يعدُّونهم من الهراطقة اليعقوبيَّة

١) انَّ اسم الملكيين قديم العهد عند كتبة العرب وهو قد ورد في تآليف القرن التاسع. يروونهُ على صور شتَّى كالملكيَّة وهو الاسم الشائع بينهم والملكانية كما رواهُ القلقشندي والملكائيَّة على رواية البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٨٨ الخ) وقد ذكر القلقشندي في الجزء الرابع من كتاب الصبح الاعشى انَّ بين اسماء بابا رومية اسم بطريرك الملكيَّة

١

وقبل الخوض في هذا البحث يحسن بنا ان نذكّر القرّاء ان اهل سوريّة قبل فتوح الاسكندر لبلاد الشام كانوا سوريّين ينتمون الى الآراميين ويتكلّمون بلغات شتى مرجعها كلُّها الى اللغات الساميّة التي امتاز بينها اللغة السريانيّة واللغة العبرانيّة

هذا ولا ننكر ان بين هؤلاء سكّان سوريّة كان قومٌ من الاجانب ممّن ابتاعهم الاشوريّون والمصريّون والحثيون والفرس بعد فتحهم لبلاد الشام ولا ريب في انّ العرب كانوا احتلوا في سوريّة الشرقيّة وجعلوا لهم فيها المستعمرات العديدة. على انّ هذه الاخلاط الغريبة لم تقوَ على الاهلين الاصليين فبقي السهم المعلّى للآراميين

ولم يغيّر فتح الاسكندر احوال اهل سوريّة تغييرًا يُذكر. فانّ ذا القرنين كان اذا امتلك بلدًا أمّن اهلهُ وجعل عمّالًا من اصحابهِ مع عددٍ كافٍ من الجند لردّ هجمات الاعداء. ثمّ كان يسير بجيشهِ الى اقطار جديدة ليستولي عليها. وهذا ما فعلهُ بعد فتح الشام فانّهُ أقام فيها الحكّام وبعض فِرَق من الجند لا يتجاوز عددهم بضعة آلوف. وكان ذلك كافيًا لكبح جماح العصاة لاسيما وان كلمة السوريّين كانت متفرّقة وهم قد اعتادوا الخضوع للدوَل الظافرة فكان سواء عندهم ان يطيعوا لحكم الاشوريين او ينقادوا لامر المصريين او اليونان وكلُّهم لديهم غرباء قاهرون لحرّيتهم

وزد على ذلك ان اليونان كانوا في بلادهم القاحلة قومًا قليلين فكيف يقبل العقل ان الاسكندر اخرجهم من اوطانهم ليسكنهم في بلاد غريبة. وغاية ما يقال ان جالية اليونان سكنوا بعض امّهات المدن كانطاكية او بعض الحواضر الساحلية

ولقائل ان يقول ان انتشار اللغة اليونانيّة في بلاد الشام دليل واضح على انّ السوريين من اليونان. (جوابنا) ان هذه اللغة مع شيوعها في الاقطار الشاميّة لم تتجاوز المدن الكبرى. ولمّا كانت اليونانيّة هي اللغة الرسميّة في الدوائر السياسيّة والمعاملات التجاريّة اقبل السوريّون عليها فاتقنوها بما طُبعوا عليهِ من الحذق والدراية كما يُقبلون اليوم على درس الفرنسيّة او التركيّة. لكن اهل القرى والمدَر لم يغيّروا لسانهم الاصلي وداوموا على التكلّم بالآراميّة. وما لي اقول اهل المدَر فان جمهور الشعب في نفس المدن لم يزل محافظًا على لسانهِ القديم (١. ولنا في ذلك شاهد صادق في قول اوريجانس

١) راجع كتاب النصارى للطيب الذكر المطران اقليمس داود (ص١١)

المعلم الشهير في المئة الثانية للميلاد حيث يقول (١ : « لو شاء يوناني ان يعلم السوريين تعليمًا مفيدًا لكان اولى به ان يدرس لغتهم من ان يباحثهم باليونانية بلا منفعة ». ومن ذلك ايضًا ما كتبهُ القديس يوحنا ذم الذهب (٢ وذلك بعد مرور سبعمائة سنة على ابتناء مدينة انطاكية « انهُ يتأسف لعدم معرفتهِ للغة الوفر من سكان القرى الذين تقاطروا الى انطاكية لحضور الحفلات الدينية. وهو يشهد في محل آخر (٣ : « ان جهل اهل القرى باللغة اليونانية من الاسباب التي تجعل اهل المدن اقله من القرويين بالتعاليم الدينية ». وكان اسقف اورشليم في ذلك العهد اذا خطب باليونانية ينقل الترجمان خطبتهُ الى السريانية ليفهمها الشعب (٤. وكذلك كان في كنائس مدن الشام قومٌ عُهد اليهم نقل المواعظ والصلوات الى السريانية (٥. وفي سيرة القديس هيلاريون السانح شهادة صريحة للقديس هيرونيموس بان اهل فلسطين كانوا يتكلمون بالسريانية ومما ورد في اعمال سمعان المعروف بساوس انَّ السريانية هي لغة اهل سواحل الشام. وكان بوسعنا ان نعدّد هذه الشواهد لولا خوفنا من الاسهاب المملّ. وفي الشواهد السابقة دليل واضح على ما اردنا بيانهُ من حصر اللغة اليونانية في بعض الاماكن المعتبرة

وزد على ذلك ملاحظةً اخرى يشهد التاريخ بصحتها وهي انَّ اللغة العربية لم تنتشر في غير البلاد التي كان اهلها يتكلّمون بلسان يشبه العربية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميرية او احدى اللغات الساميَّة. ألا ترى مثلًا بلاد الاندلس التي تولّى عليها العرب نيفًا وثمانمائة سنة فانَّ اهلها الاصليين حافظوا على لغتهم اللاتينية او فرع منها ولم يأخذوا من العربية الّا بعض مفردات (٦. وكذا اهل صقلية واهل الهند وفارس فانَّ العربية لم تعمّ القوم فيها لتباين لغات اهلها من العربية

والامر بخلاف ذلك في سورية فانَّ اللغة العربية اضحت اللغة الشائعة عند الخاصّ

---

١) في كتاب ردّه على سلسوس (contra Celsam, VII. c. 9)

٢) في مبسوط التاسع عشر الى اهل انطاكية

٣) مبسوطهُ في الشهداء (ed. Monfaucon; T. II, n° 1, p. 951)

٤) راجع رحلة القديسة سيلفيا (Peregrinatio Sylviæ, 107)

٥) (Duchêne : *Antinomies écclesiastiques* ,p.50)

٦) قد ذكرنا عدَّة من هذه الالفاظ في كتابنا المسمّى Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, *Beyrouth*, 1890

والعام بعد ميتي سنة فقط اللهمَّ الَّا بعض الاماكن المعتزلة او الجبليَّة كاشارف لبنان مثلًا حيث دامت اللغة السريانيَّة قرونًا عديدة. فلو كانت لغة اهل سوريَّة هي اليونانيَّة لما غلبت عليها العربيَّة لتباين اللغتين والفرق العظيم الذي بينهما

ولنا برهان آخر على حقيقة هذا القول وهي اسماء مدن الشام فانَّ اليونان اطلقوا على اكثر مدن سوريَّة اسماء يونانية فدعوا بعلبك « بهيلوبوليس » وتدمر « پلمير » وحلب « بيروا » وجبيل « بيبلوس » وبترون « بوتريس » وعكَّة « بطولومايس » الخ فما كاد العرب يفتحون سوريَّة حتى توارت الاسماء اليونانيَّة وظهرت الاسماء الاصليَّة وفي ذلك بيِّنةٌ على ان اهل البلد لم يفقدوا لسانهم القديم وانهم حافظوا على اسماء هذه المدن. وان قيل انَّ عدَّة مدن تُعرَف الى يومنا باسماء يونانيَّة كطرابلس واللاذقيَّة وباناس أجبنا انَّ هذه المدن كان بُناتها اليونان فدُعيت لذلك باسماء يونانيَّة وبعضها لم يشتهر الَّا في عهد اليونان فشاعت اسماؤها اليونانيَّة الى اليوم (١

٢

فثبت اذن ممَّا سبق ان اللغة الشائعة في سوريَّة بين الاهلين لم تكن اللغة اليونانيَّة بل بعض اللغات الساميَّة لاسيما الاراميَّة

امَّا كون الملكيين كانوا يتكلَّمون بهذه اللغة الارامية او السريانيَّة فلنا على ذلك ادلَّة باهرة اولها اسم الملكيين الذين نحن في صددهم فانهُ لامرٌ مقرَّر ان كلمة الملكيين سريانيَّة (تشبيها العربية). فكيف يا تُرى يجوز القول بان قومًا من اليونان دُعوا باسم اجنبيّ لا علاقة لهُ مع اللغة التي يتكلَّمون بها هو اسمٌ تنفر منهُ لغة هومير وافلاطون وارسطو. وفي تواريخ الفرنج المعروفين بالصليبيين يطلق عادةً اسم السوريّين على الملكيين وهم يُشعرون بانَّ لغتهم الطقسيَّة هي السريانيَّة ويفرزونهم عن يونان الجزائر الذين يدعونهم غريفون (Griffons)

هذا ولنا برهان آخر على كون الملكيين سوريّين وهو استعمالهم اللُّغة السريانية في طقسهم كما اجاد في بيانهِ صاحب مقالة المنار (ص٣٢٨) جناب امين خيراللهِ. وهو لعمري امرٌ لا يمكن انكارهُ يستند الى شواهد تاريخيَّة عديدة فضلًا عن اقوال ائمَّة

(١) راجع مقالة الطيب الذكر المطران اقليميس داود في اللغة الشائعة في سوريَّة قبل الهجرة (المشرق ١: ٣٤٨)

المستشرقين (١. منها شهادة البطريرك الانطاكي تاردورس بلسمون من الدّ اعداء اللغة السريانيَّة. فهذا البطريرك يرخص في احدى رسالاته للملكيين الذين يجهلون اللغة اليونانيَّة ان يحافظوا في طقسهم على لغتهم الاصليَّة (٢ يريد السريانية لان كتب الطقوس لم يعرّبها الملكيون الّا بعد ذلك بامدٍ مديد

ومما يزيل كل شبهة بهذا الخصوص ما المع اليهِ جناب الاديب خير الله من وجود كتب عديدة للملكيين فيها بالسريانيَّة او الكرشونيَّة طقوس كنيستهم. وهذه المخطوطات لا تكاد مكتبة من عواصم اوربّة الكبرى تخلو منها لاسيَّما رومية وباريس ولندن. ولا يزال منها في الشرق بعض كتب. ففي كنيسة الحيثة في بكفيَّا انجيل قديم بالكلدانيَّة كان يُقرأ في كل ايام السنة عند الملكيين. وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة كتاب رتب الملكيين وصلواتهم بالعربيَّة والكلدانيَّة خطَّ منذ نحو ٣٠٠ سنة. وفي مكتبة دير الشرفة كتاب بالسريانية فيهِ الحان طقس الملكيين مع العلامات الموسيقيَّة (٣. وقد افادنا الاديب حبيب افندي الزيَّات (المشرق ٢: ١٨٩٩) انَّ في مكتبة دير الروم في صيدنايا كانت عدَّة مخطوطات سريانيَّة حرقها اصحابها جهلًا وغباوةً. هذا الى شهادات أُخرى كثيرة عدَّدها السيد الجليل المطران يوسف الدبس في نبذتهِ التاريخيَّة في القروض البيعية (ص ١٨ — ٢٩). وفي جملة ما نقل سيادتهُ (ص ٢٤) شهادة البطريرك مكاريوس سنة ١٦٧١ يقول فيها: « نحن نصلّي في كنائسنا وبيوتنا باليونانية والسريانية »

ومما يؤيد قولنا السابق ان السريانية لا تزال دارجة الى يومنا في معلولا وما يجاورها واهل تلك النواحي ليسوا بموارنة او يعاقبة بل هم ملكيُّون قسمٌ منهم كاثوليك وقسم اورثوذكس

ثمّ اذا تصفَّحنا التاريخ وجدنا ان الملكيين السوريين كانوا يجهلون في الغالب اللغة اليونانية (٤. ففي المجمع الذي عُقد مثلًا في القسطنطينيَّة سنة ٨٩٦ يُخبر عن مطران

---

١) راجع ما روينا عنهم في مجلة الابحاث (Etudes, 15 Fev. 1895, p. 291)

٢) راجع مجموع اعمال الاباء اليونانيين (Migne, T, 137 col. 958)

٣) راجع مجلة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient chrétien *IV*, p. 153)

٤) راجع مقالتنا السابق ذكرها في مجلة الابحاث

صور الملكيّ انهُ لم يحسن التكلُّم باليونانيَّة. فاذا كان هذا امر احد الاساقفة فما القول عن الكهنة والرعيَّة. وفي سنة ١٠٥٤ طلب بطرس البطريرك الانطاكي في مدينته رجلًا قادرًا على نقل رسالة البابا لاون التاسع الى اليونانية فلم يجد. واخبر المؤرخ زغمالاس (Zygmalas) ان ميخائيل بطريرك انطاكية لم يتقن اليونانيَّة مع ضلاعته باللغتين السريانية والعربية. ولا ظنّ انّ الشعب كان ادرى باليونانية من رعاته

ولعلَّ معترضاً يعترض بذكر « اتفاق الكنيسة الانطاكية مع اختها الكنيسة القسطنطينيَّة بالطقوس (راجع المنار ص٣٣٥) ». فنجيب ان وحدة الطقوس لا تثبت وحدة اللغة الدارجة. ألا ترى انّ طقس فرنسة هو الطقس اللاتيني مع ان الشعب لا يتكلَّم باللاتينية. ثم هذه الوحدة الطقسية نفسها ليست بقديمة (١ لان كنيسة انطاكية كانت تستعمل في قداسها ليتورجية القديس يعقوب الى القرن الثاني عشر فبدل البطريرك ثاودورس بلسمون وكان اصلهُ من القسطنطينيَّة هذه الليتورجية القديمة بليتورجية القديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير محتجًّا بانهُ يُقتضى على كل الكنائس ان تتبع الكنيسة القسطنطينية في طقسها (٢. وكان ابدال الطقس في كنيسة انطاكية من اقوى عوامل انحطاطها وتسلُّط البطاركة القسطنطينيين عليها. ولم تزل مذ ذاك هذه السطوة تتزايد وتقوى الى يومنا

ويحتجّ علينا المعترض بحجة اخرى وهي تآليف الآباء السوريين باليونانية كالقديسين يوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي وصفرونيوس. والجواب على هذا الاعتراض مع ما فيهِ من الصحة ليس بصعب وهو ان اللغة اليونانية كانت في القرون كاللغة الرسمية في الكنيسة فكان الكتبة يفضلون الكتابة فيها فلا ينتج من ذلك ان الجمهور كان يتكلَّم بها. كما ان اللاتينية بقيت مدَّة اعصار متوالية لغة العلماء دون ان تكون اللغة الدارجة بين الشعب. واليوم نرى في الجزائر الاكليروس يتكلَّم ويكتب بالفرنسية فمن يقول ان هذه اللغة هي لغة اهل الجزائر

هذا ونضرب صفحًا عن بعض اعتراضات أُخرى اتى بها من حاول دحض مقالة الخواجا خير الله كتشابه اخلاق السوريين واليونان وبعض العادات التي اتخذها الروم

١) راجع النصارى (ج٩ ص٥٠) ٢) راجع اعمال الآباء اليونان لمين (المجلد ١٣٢ ص٩٥٤). وفي هذا الجزء ترجمة البطريرك بلسمون (ص١٠-٢٠)

الاورثودكس من اليونان (راجع المنار ص ٣٢٧) فان مثل هذه الاعتراضات لا طائل تحتها ولا تستحق جواباً

٣

هذا ويبقى الردّ على زعم آخر استند اليه البعض لينفوا قول من يقول باصل الملكيين الآرامي . وهو انّ الملكيين عربٌ جنساً . واقوى براهينهم على ذلك انتشار اللغة العربية في ظهرانيهم منذ مئين من السنين . لكننا قد بيّنا سابقاً ان لانتشار اللغة العربية بين السوريين سبباً آخر فلا حاجة الى التكرار

ثمّ لا ننكر ان قوماً من قدماء العرب النصارى دخلوا في عداد الملكيين كما دخلوا ايضاً بين الطوائف الاخرى من نصارى الشرق . ولم نكُ لنجهل ان قبائل العرب كانت متاخمةً لبلاد الشام وانها تجاوزت حدودها مراراً فاختلطت باهل سوريّة لاسيّما في ناحية غور الاردنّ وبلاد حوران ونواحي حمص . ولكن لا طاقة الى القول بان عدد هؤلاء العرب بلغ الى ان يتغلّب على العنصر الآرامي الاصلي في بلاد الشام

اما قول القائل (المنار ٣٢٦) : عن « استيلاء الغسّانيين على دمشق وجهاتها قبل الاسلام وانبساط ظلّهم في البلاد حتى امسوا العنصر الغالب » فليس بصحيح من وجوه منها ان الغسّانيين لم يملكوا قطّ على دمشق وانّما تولّوا على قسم من حوران وبادية الشام الممتدّة بين دمشق وتدمر . ثمّ انّ المذهب الغالب على الغسّانيين كان مذهب اليعاقبة فلم يزيدوا عدد الملكيين زيادةً تُذكر . ولمّا ظهر الاسلام دخل قسم منهم في الدين المحمديّ وهجر القسم الآخر بلاد الشام

هذا ما بدا لنا ذكرهُ عند مطالعتنا الجدال الواقع بين الخواجا خير الله وخصمه . وظنّنا ان روايتهُ عن آراميّة اهل سوريّة الملكيين هي الصحيحة وانّ السريانيّة كانت لغتهم الدارجة بل اللغة الطقسيّة الى ان اقتبل البطريركيّة القسطنطينيّة سطوتها على بلاد الشام . والله اعلم

البصر وبعض عيوبه

للدكتور اسبريدون ابي الروس معاون اسبق في المستشفى الافرنجي

في العين جهازان الواحد منها طبيعي (فيزيكي) يصوّر المرئيات والآخر حيويّ يتلقّى صورها